أولاً: المقدمة: مداخلة في المستقبلية:

المستقبل هو الزمان الحقيقى الذى نستطيع فيه أن نملك حريتنا ، ومن ثم .. فهو وعاء الإرادة التى نقدر بها على أن نصنع تاريخاً ، فالحرية والإرادة هما وحدة الإنشاء التاريخى .. وبالتالى فهما وحدة التمثيل المستقبلى ، فالمستقبل ليس مقولة مجردة فى فراغ المسطح .. ولكنه مقولة تاريخية فى متصل الصيرورة ، وبأبجدية المصطلح .. فليس هناك مستقبل .. ولكن هنا مستقبل تاريخ .

وفى محاورة مستقبل التاريخ .. تأتى المستقبلية كطريقة فى التفكير تحاول أن تستكشف الممكن فى الزمان القادم .. وعياً بمستجدات فاعلة بإمكاناتها المدخرة وبتضميناتها الحية .. ولكنه وحده لا يكفى ، فهناك وعى أخر ينبغى أن تختزنه المستقبلية وهو الوعى بروح عصر المستقبل .. وإلا فإن رؤاها الاستكشافية وسيناريوهاتها الاستشرافية تبقى معلقة فى زمان بلا مستقبل .. تماماً مثل بعض أحداث الماضى التى إنسحبت إلى زمان بلا تاريخ .

فإذا قبلنا بأن المستقبل هو تاريخ ، فإن علينا أن نقرأ المستقبل .. كما نقرأ التاريخ ، وفى قراءة التاريخ .. فمن المهم أن نعرف : ماذا حدث ولماذا حدث وكيف حدث ؟ ، ولكن من المهم أيضاً أن نعرف .. هل جاء الحدث تعبيراً عن روح عصره! ، فإذا جاءت الإجابة «نعم» .. فهو تاريخ ، وإذا جاءت الإجابة «لا» .. فهو ماضى ، وكذلك بالنسبة للمستقبل .. فكل إستقراءاتنا بصدده ينبغى أن يواكبها سؤال الظل : هل هى إستقراءات تعبر عن روح عصر المستقبل أم لا ؟ .

روح عصر المستقبل تجد تعبيرها فى الليبرالية .. وهو ليس إنحياز مرسل بإستهواء ذاتى .. وليس إسقاط فرضى بإنفراد تحكمى ، ولكنه تداعى المنطق .. فإذا كان المستقبل هو تاريخ ، فإن أهم الأسئلة التى تطرح نفسها : لقد عرف التاريخ الأزمة .. فهل ستنتفى فى مستقبله ؟ ، والليبرالية هى الوحيدة التى تجيب بـ «لا» ، وإجابتها ليست رفضاً لواقع يسوق محاذير .. أو تحفظاً على مستجدات تثير مخاوف ، ولكن إتساقاً مع نفسها .. فالوعى الليبرالى يقبل بالأزمة كظاهرة بنيوية فى التاريخ وبالتالى فى مستقبله ، ومن ثم .. فإن الليبرالية هى التى تبدو أكثر قدرة على التعبير عن روح عصر المستقبل والذى سوف يسوده اللايقين كقانون حركة ، فالإنسان فى مستقبل التاريخ لن يخلق المعرفة فقط ولكنه سوف يخلق معها وبتلازم الإطراد المجهول أيضاً .

إننى هنا لا أتحدث عن إنتصار نهائى لليبرالية فى التاريخ .. إنتصار تمسك به بنهايته ، فالليبرالية لا تقبل بغايات نهائية ولكنها تقبل بشئ أخر وهو أن الغاية فى التاريخ هو البقاء فى التاريخ ، وهذا بالتحديد ما أرادت – إبتداءً – أن تبرهن عليه محاوره الليبرالية الإجتماعية ، فالبقاء فى التاريخ كغاية فى حد ذاتها .. ينبغى أن يستعيد لليبرالية ذاكرتها الإجتماعية .. ذاكرة تستيقظ عند الجذور وتتصل بالنشأة

الأولى .. حيث الليبرالية هى همزة الوصل بين الذات الحرة والموضوع الحر .. بين الفرد والإمكان الإجتماعى .. بين المجتمع المدنى والدولة .

ولقد بدا لى .. أن الأطروحات الحديثة التى تتناول الليبرالية حاولت وتحاول تدمير ذاكرتها الاجتماعية ، فلقد كانت تبحث عن ليبرالية أيدولوچية أو ليبرالية برجماتية أو ليبرالية داروينية أو ليبرالية فردية ، وبمعنى آخر .. فلقد كانت أطروحات تبحث عن إعلان موت الليبرالية .. ليتحرر المستقبل من التاريخ ، ولكن ومحاورة الليبرالية الإجتماعية تبحث عن إعلان عودة الليبرالية .. وعودة المستقبل إلى التاريخ .

عندما يعود المستقبل إلى التاريخ .. فإن المستقبلية لا تعود دعوةً للإغتراب عن الحاضر ، لأنها تستعيد - عندئذ - للأشياء معانيها ، فهى تعطى للحرية فى المستقبل معنى تاريخى .. وتعطى للإرادة فى المستقبل معنى تاريخى .. وتعطى للمجتمع المدنى فى المستقبل معنى تاريخى .. وتعطى للدولة فى المستقبل معنى تاريخى ، وتعطى للإنسان فى المستقبل معنى تاريخى .. فهى لن تستلبه فى صورته الأولى لاهثًا وراء رغباته خارج التاريخ وفى فضاء الطبيعة .. ولكنها تستبقيه إنساناً حراً .. قادراً على تنمية إمكاناته ومشبعاً بروح المسئولية إزاء نفسه وإزاء الآخرين .

كل هذه المعانى وغيرها حاولت محاورة الليبرالية الإجتماعية أن تقاربها بالتشخيص على إمتداد خمس محاور .. وأن تتعمقها بالتفاعل عبر فقرات مطولة تفرعت إليها المحاورة ، وفى أحسن الأحوال فإن المحاورة تدعى لنفسها أنها كشف عن ممكن فى مستقبل التاريخ .. لا أكثر ولا أقل ، ولكنها فى كل الأحوال تترك نفسها كرؤية فى مداولة نقاش .